

على يد الباشا علي أحمد الريفي، كما ويُعتبر من مُلحقات قصر القصبة، أو ما يُسمى بدار المخزن، أما الكنيسة الأسبانية فبعد أن قضت فترة في ملكية أسرتين يهوديتين، اشتراها السلطان محمد بن عبد الله حوالي 1760م، وتم إهداؤها للحكومة السويدية لتؤسس فيها أول قنصلية لها عام 1788م. وفي 1871م استغلها الحاكم الأسباني ليُجعل منها إقامة للبعثة الكاثوليكية، فبنى فيها كنيسة كبيرة سماها «لابوريشيما» على السيدة مريم، أو السيد المسيح. لكن منذ حوالي ثلاثين سنة، ولأن المسيحيين لم يعودوا يترددون على الكنيسة بكثرة، أصبحت المؤسسة تعنى بأنشطة اجتماعية مُختلفة، أما حاليًا فلم يبق من البناية سوى الجزء العلوي من السُلّم الرئيسي.

إميلشيل

يُعد موسم (إميلشيل) للخطوبة الذي تقيمه عمالة (محافظة) (الرشيدية) من 19 إلى 21 سبتمبر قبلة الزوار والسيّاح الأجانب (غير العرب) والمغاربة، فضلًا عن الباحثين في الفلكلور والأنثروبولوجيا وغيرهما، نظرًا لما تنطوي عليه هذه المظاهرة الشعبية، التي لا مثيل لها في العالم، من طابع أسطوري معجون بالخيال الشعبي لسكان قبائل (آيت حديدو) القابعة في جبال الأطلس على علو 2000 متر.

يجتمعون في هذه الفترة من العام المتزامنة مع موسم الحصاد لتخليد أسطورة بحيرتي (إيسلي) و(تيسليت) وتعني بالأمازيغية: الخطيب والخطيبة. والموسم في المملكة المغربية يُضاهي المولد في مصر المحروسة. وأظن أن الأخيرة ورثت الموالد من المغرب، والمملكة المغربية تعد بحق أم المواسم،

فُكِّل عمالة وحاضرة ومدينة وقرية لها موسمها الخاص بحيث يُمكن لنا القول إن هُناك المئات من المواسم التي تقام على مدار العام في طول المملكة المغربية وعرضها.

والموسم في المغرب له معان شتى: فهو يحوي السوق، فضلاً عن كونه المعرض والمهرجان والعُرس، وتتضافر هذه الفعاليات لتخلق فضاءً فريداً متمزج فيه الأسطورة بالخيال بالتراث الشعبي والعادات الاجتماعية القبلية الموغلة في القدم، والقاعدة الأساسية التي يتكئ عليها زواج عرسان أبناء قبيلة (آيت حديدو) في (إميلشيل) بإقليم (الرشيدية) هي اختطف عروسك ومن ثم تزوجها فإن لم تفعل ذلك فأنت يا حضرة الزوج المبجل لا تستحقها، وتجدد الإشارة إلى أن بعض أبناء القبيلة غير راضين لأن يكون تراثهم وتقاليدهم فرجة احتفالية للسياح والزوّار...

لكن هذا الموقف لم يؤثر على حضور الموسم وشهرته واستمراره كل عام منذ عام 1965م متواصلة حتى الآن... وحين يُشاهد المرء طقوس موسم الخطوبة يختلط عليه الأمر... بحيث لا يدرك لأول وهلة الفرق بين الحقيقة والخيال، أو الأسطورة والواقع الذي يدب على الأرض.

في الصباح الباكر بعد شروق الشمس بساعة يهرع أبناء قبائل (آيت حديدو) إلى التجمع في ساحة الاحتفال وميدان الموسم، فها هي الخيام المغربية الكبيرة المساحة والحجم: منصوبة متراسة على شكل دائرة، تملأ الفضاء الاحتفالي بسحر وبهاء، والموسم في المغرب يتسم بطابع تجاري تسويقي واجتماعي وديني روحاني، فعادة ما يتزامن عقده إثر موسم الحصاد، في بداية الخريف، حيث يتمكن القوم من شراء لوازمهم وحاجاتهم الحياتية لمدة عام كاملة تقريباً.

فمنطقة إميلشيل تقع في حُصن جبال الأطلس الأعلى حيث الشتاء طويل شديد، والبرد غزير الثلج والأمطار. ومن هنا فإن البيات الشتوي يحتاج إلى مئونة تُقيم الأود، وتقويه القر وتمنحه الدفء، وكل حاجاته الضرورية.

إن الراغبين في الزواج يتعارف كل منهما على الآخر بطبيعة الحال قبل الموسم، ويتم عقد قرانهما في الموسم ذاته، حيث يُوجد كتاب العدل الذين يقومون بإجراءات عقد القران شفاهة وكتابة، ووفق التقاليد الإسلامية المألوفة في كل بلاد المسلمين. وفي وقت الضُحى يزدحم فضاء (إميلشيل) بفرسان القبائل الممتطين خيولهم المزينة بالسروج البهية، وتتوافد النسوة مشى وثلاثاً ورباعاً وهن يرفلن بملابسهن التقليدية الزاهية، ولا يبرز من العروس منهن سوى عينيها. ذلك لأنها تكون مُلثمة، ويتحلين بالحلي والقلائد والأقراط المصنعة محلياً بواسطة صُناع الحلي ومُجوهرات الصناعة التقليدية المصنوعة غالباً من الفضة، فالأزياء تلعب دوراً احتفالياً سحرياً في تمييز العروس العذراء عن غيرها من النساء المطلقات والأرامل الراغبات في الزواج ثانية.

وعروس موسم إميلشيل (بنت قبيلة آيت حديدو) تعنى عناية شديدة بالتزييق (الذي ينعت بالماكياج بالعربي غير الفصيح) فتجدها تضع الكحل في عينيها الساحرتين، وتطرز خدها بنقاط حمراء بدعوى أن اللون الأحمر (وفق اعتقادها) يدرأ عنها الحسد والشر.

أما اللون الأصفر فتضعه حول الحاجبين ليبرز جمالها ورقتها، ولا تنسى تزيين أذنيها بأقراط كبيرة الحجم، وتتقلد على صدرها قلادات مُرصعة بالأحجار الصفراء والحمراء المُضاهية لمعدن (الكهرب) الذي تُصنع منه المسبحة.

والعرس يوجب على الجمع القبلي ارتداء الملابس التقليدية الجديدة غالبًا والنظيفة على الدوام. فالرجال الكبار يعتمرون العمامة الأمازيغية التي عادة ما تكون من القماش الفاخر، ويرتدون الجلابيب والبرانس الضاوية بالألوان الخضراء والبُنية البهية. وفي داخل الخيام وخارجها تُباع الصناعات التقليدية الخاصة بالإقليم نفسه، والأقاليم المجاورة له: فتجد الزرابي مبنوثة على الأرض في كل مكان، ويتعالى ثغاء الخراف والماعز، وكل الأصوات المميزة للبقر والجمال والأحصنة والبغال والحمير والكلاب والدواجن.

وتُشرع النسوة مُنذ الصباح الباكر في طبخ وتطيب (الطواجن) و(الكسكي) بينما الفرق الموسيقية الفلكلورية تهزج بالأغاني الموقعة على إيقاع (البندير)، والدفوف والطيران والربابة المغربية صغيرة الحجم ذات الدويّ الذي لا يتناسب مع حجمها، والفرق الفلكلورية الغنائية الراقصة تُحضر من المدن والقبائل المقيمة في جبال الأطلس وما جاورها، ويقودها ذلك الشيخ الأمازيغي المترع بالفروسية والحيوية والرشاقة، والمُلقب في أوساط المواسم والمهرجانات التراثية الفلكلورية بلقب (المايسترو)، وهو حاضر فيها على الدوام، ويتمتع بجماهيرية وجاذبية شخصية، وتمكنه من النفاذ إلى قلوب المُشاهدين من دون استئذان، وفي موسم إميلشيل الذي نحن بصدده: من حضرة (المايسترو) بجلالة قدره، وعظمة فنه وشدة حضوره. والسبب يكمن في الزى العربي الخليجي الذي يصوّب السياح كاميراتهم نحوه لتصويره لغرابته، ولكن (المايسترو) استطاع إعادة الاهتمام برقصه وإيقاعه وحضوره الجذاب في ساحة الرقص والغناء الفلكلوري، كما هو دأبه دوماً في كُل مهرجان ومُوسم.

وتجدر الإشارة إلى أن بحيرة (إيسلي) تقع على بعد ستة كيلومترات من منطقة إميلشيل، ويصل عمقها إلى 37 مترًا، بينما تبعد عنها بحيرة (تسليت)

باثنى عشر كيلومتراً، وعمقها يصل إلى 86 متراً. ونظراً للفضاء الطبيعي الجميل الذي يحيط بكل منهما، فقد أصبحتا منتجعين سياحيين يزورهما السياح من شتى الأقاليم المغربية، وكل أقطار العالم التي اعتاد مواطنوها السياحة في المغرب. وعلى الرغم من مسحة الترويج السياحي التي تصبغ الطقوس الاحتفالية للموسم، فإن أحد أبناء المنطقة العارفين بالموروث الحضاري للزواج في إميلشيل يشير إلى أهمية المشاعر السامية لمجموعة قبائل (أو ملان) والتي تعني بالعربية الناس الذين يوفرون الأمان. ويجدر التنويه إلى أن غطاء رأس المرأة المتزوجة يكون مخروطياً إلى أعلى، في حين يكون غطاء المرأة العزباء أفقياً.

حينما تخرج العروس من بيت ذويها، وتحين ليلة دُخلتها يُحيط بها أبناء عموماتها الأشداء، وقد (تسلحوا) بجريد النخيل الذي سوف يضرب به الزوج المسكين مدة من الزمن، إلى حين تمكنه من الإمساك بلجام البغلة التي تمتطيها عروسه، ومغزى هذه العملية المبرحة هو التدليل على رباطة جأش العريس وشجاعته، وصبره على تحمل المشاق، وعلى قدرته على القيام بحماية زوجه من عادات الزمن ومزلاته.

وإثناء إتمام عقد القران يتقاسم العروسان وأسرتهما رغيف خُبز كبير تتجاوز مساحته المتر المربع، وذلك دلالة على الارتباط المقدس بين الأسرتين المتصاهرتين. أي أن يكون بينهما (عيش وملح).

وتتوالى مشاهد سيناريو الموسم وتترأى مثل الفيلم الرومانسي، حيث يتوجب على العروس الاستحمام بثياب زفافها في مياه بحيرتي (إيسلي وتسليت) جهاراً نهاراً، على رءوس الأشهاد ومرأى كل الناس الموجودين في فضاء المشهد. ولا شك في أن السياح الأجانب مفتونون بهذا المشهد

الرومانسي، وغيره من المشاهد التي غابت عن حياتهم اليومية المادية، وكم تُثيرهم الملابس الوطنية التقليدية العريقة المُحافظة على أصالتها وحضورها في الحياة الاجتماعية رغم تقادم السنين والحقب والأزمان، فالملابس بهية بشكلها وألوانها المزركشة، والحلي المصنوعة من العقيق والأصداف والفضة تزهو بها الأعناق والمعاصم والصدور.

يُضاف إلى هذه المشاهد: مشهد العريس بزيه الأبيض، وفرسه المطهّم، ليُضفي على فضاء الموسم نفحة أسطورية مُفعمة بالسحر والفرح والرومانسية التي تُدغدغ مشاعر الصبايا الوافدات المُنتظرات لعُرسان المُستقبل. كما أن منطقة إميلشيل الموجودة في منطقة جبال الأطلس الكبير جاءت لتكون رائدة الانفتاح نحو العالم، ويعود ذلك لكونها تتمتع بموقع استراتيجي، كما أن موسم الخطوبة يُعد قبلة لكل من يأخذه الحنين لقيم الحب النبيلة.

فالحُب عند هؤلاء له توأم لا يكاد يُفارقه اسمه الفضيلة: هذه الأخيرة التي بها يكتمل الحب، ومن خلالها ينمو ويكبر، وينشر الرحمة والتسامح، تلك القيم النبيلة - إذا صح التعبير - تكاد تفقدها بعض المجتمعات المعاصرة، ولعل السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق: يكمن في الكيفية التي تتم بها مراسم الخطوبة والزواج وفق التقاليد السائدة لقبائل المنطقة.

بداية، يتشكل وفد من عشرة أفراد (خمسة نساء وخمسة رجال)، حيث يتجه الوفد صوب منزل العروس ليقدموا لها الهدايا المكونة من الملابس والحلي وخروف سمين كامل لا عيب يشينه، فضلاً عن الـ (أبادير)، وهو رغيف كبير يصل قطره إلى متر، ويتكون من 25 كيلوجراماً من طحين القمح، ثم يُعجن بعشرة لترات من الماء، بعد أن يُضاف إليه القدر المناسب من الملح، وعادة يقوم الرجال بخبزه لا النساء، وحين ينضج يوزع على أفراد

الأُسرتين رمزًا للمودة والتعارف، كما يُقدم للضيوف من قبل أهل العروس التمر والزُبد والعسل والحليب.

وتقوم سيدة بتزويق العروس بالحناء، ومن ثم ترتدي ثوب العُرس الأبيض وتتقلد بالحلي، وقبل خروجها من بيت والديها يقوم والد العروس بوضع (بُرنسه) تحت قدميها دلالة على مُباركته لهذه الزيجة.

إن الميزة التي يتميز بها موسم إميلشيل عن غيره من المواسم في المملكة المغربية تكمن في كونه حُصناً يضم العُشاق والمُحبين الذين يلتقون فيه ويتبادلون الأحاديث الحميمة، ويتناقشون في الترتيبات المتعلقة بحياتهم المُستقبلية. فحين يتم التفاهم بين الطرفين يذهب الخطيبان إلى المقر الذي يُقيم فيه الكتبة العدول ليعلنا أمامهم ويُشهداهم على رغبتها في عقد قرانهما ببساطة متناهية تنأى عن الإجراءات الروتينية المعقدة التي تطبع العديد من الزيجات في المجتمعات الحضرية المدنية.

وهذه البساطة المتناهية في عقد الزواج لا تُوجد في أرقى المجتمعات العصرية وحرية اختيار القرين لوليفه وزوجه، ولا تعني أنها حرية طائشة أو نزوة غير مسؤولة، وذلك أن الاتفاق بين الحبيين على الزواج لا قيمة له من دون مُوافقة ذويها ومُباركتهم، والأمر الجدير بالذكر في موسم الخطوبة بإميلشيل هو تضائل القيمة النقدية لصدّاق الزوجة، حيث أنه لا يتجاوز المائتي درهم أي تساوي عشرين دولاراً فقط لا غير... !!

وفي يوم الافتتاح تُقام عروض غنائية فلكلورية راقصة، وأكثرها شهرة وجاذبية (أحيدوس) التي يقودها الفنان الفلكلوري الأمازيغي العجوز والمُلقب بالمايسترو، ويتضمن يوم الافتتاح فضلاً عن ذلك المُسابقات الثقافية والرياضية، والقنص والصيد، والسهرات الفلكلورية على ضفاف بحيرة

(إيسلي). أما اليوم الثاني من الموسم فيُخصص لعقد قران عروس الموسم في أحد قصور المنطقة، ويشهد فيه السياح والزوار كل المظاهر الاحتفالية لعقد القران، أما اليوم الثالث والأخير: فهو خاص بالزيارات الميدانية لزيارة المناطق السياحية، والمواقع الأثرية، والتي تتم على ظهور البغال القادرة وحدها على تحمل مشقة الطرق الجبلية الوعرة.

والشاهد أن زائر موسم (إميلشيل) سوف يمضي الأيام الثلاثة دون أن يشعر بالملل البتة: حيث يكون في مقدور الزائر الاستمتاع بمشاهدة الخيام الكبيرة المُجسدة لحياة البدو الرُّحَّل، ويُمكنه كذلك أن يطعم ويتذوق فنون طبخهم، وبخاصة أنواع الخُبز الكبيرة التي سبق الإشارة إليها في ثنايا هذا الاستطلاع.

وهذا التجوال الذي يُمارسه السائح والزائر يتم وسط رقصات (الأحيدوس) التي يُؤديها سُكان القبائل حيث يصطف الرجال والنساء متشابكي الأيدي يعلو صوتهن بالأغاني وإيقاعات (البندير) و(الطار) المتناغمة مع حركات الأقدام وهزات الأكتاف المثيرة للطرب والفرح، والمُحرّضة على (الزفان) والمشاركة في الرقص.

إن المواسم تشغل حيزاً كبيراً في الحياة الاجتماعية المغربية، بحيث يتراوح عددها من 600 إلى 700 موسم تقام على مدار العام. صحيح أن هذه المواسم تتفاوت في درجة أهميتها وجماهيريتها، إلا أن كل موسم فيها له نكهته الخاصة التي تميزه عن غيره، وتُبرر استمراره وحضوره.

مدينة الكرك الأردنية

يعود تاريخ مدينة الكرك الأردنية إلى العصر الحديدي نحو سنة 1200 قبل الميلاد، وتعاقَبَ عليها المؤابيون والأشوريون والأنباط واليونان والرومان والبيزنطيون. وكان للمدينة تاريخ حافل مع صلاح الدين الأيوبي الذي حارب الملك أرناط، وكانت أهمية الكرك في ذلك الحين أنها كانت تحمي القدس لما لموقعها الإستراتيجي من دورٍ في الحيلولة دون اللقاء بين عرب الشام وعرب مصر ولكونها محطة مراقبة على طريق الحجّاج. وكان ملكها أرناط محاربًا شرسًا مغامرًا، وقد وجّه صلاح الدين ثلاث حملات للكرك حتى تمكّن في عام 1188 من احتلال القلعة الحصينة. وكان أرناط متحصنًا فيها ويخشى الخروج، لكنّه في معركة حطين وقع أسيرًا فضربه صلاح الدين بسيفه ولقي حتفه.

وازدهرت مدينة الكرك في عهد الدولة الأيوبية أيّما ازدهار فتجددت أبواب القلعة وترممت أسوارها وأعيد بناء قراها ونمت زراعتها، وبقيت الكرك تنعم بالازدهار والطمأنينة على الرّغم من الخلافات التي اشتدّت بين السلاطين الأيوبيين. وعندما تعرّضت المنطقة لغزو المغول واحتل الظاهر بيبرس الكرك، اعتنى بها وحفر خنادق جديدة حول المدينة وقلعتها، فعاشت الكرك مجددًا حياةً هادئةً إلى أن احتلّها العثمانيون في عام 1516م، ونظرًا لبعدها عن السّلطة المركزية العثمانية، تخاصمت قبائلها فيما بينها على التحكم والسيطرة. وعاشت الكرك إبان الحكم التركي فترة من الحكم البغيض.



مدينة جرش

ترتفع جرش، المدينة الأردنية، قرابة ستمائة متر عن سطح البحر، ويعود تأسيسها إلى عهد الإسكندر الكبير في القرن الرابع قبل الميلاد. لكن بعض الآثار فيها تُبين أنَّ مدينة جرش من العصر البرونزي، نحو 2500 قبل الميلاد. وتعود بعض الآثار التي اكتُشفت في شمال جرش إلى العصر الحديدي.

نعمت هذه المدينة بالهدوء والاستقرار والسلام وتأثرت كثيرًا بالحضارة الرومانية، وأصبحت من المدن العشر. وتعاقت عليها العصور وانتشرت فيها الديانة المسيحية حتى أصبح لها في عام 451 أسقف. ثم احتلتها جيوش الفرس ودمّرت كنائسها. ووصلها العرب المسلمون، بقيادة شرحبيل بن حسنة، في زمن الخليفة عمر وسيطروا عليها، وذلك في عام 635 ميلاديًا. لكنّ الزلازل المتلاحقة التي ضربت تلك المناطق أدّت إلى انهيارها الكامل.

كتب عنها ياقوت في كتابه «معجم البلدان» قائلاً: جرش، هذا اسم



مدينة عظيمة كانت، وهي الآن خرابًا. حدّثني من شاهدها، وذكر لي أنّها خرابة وبها آبار عادية تدلّ على عظمة. فقال: «في وسطها نهرٌ جارٍ يدير عدّة رُحى عامرة إلى هذه الغاية. وهي في شرقي جبل السّواد من أرض البلقاء وحوران، ومن

عمل دمشق وهي في جبل يشتمل على ضياع وقرى. ويُقال للجميع جبل جرش، اسم رجل، وهو «جرش بن عبد الله». ويُخالط هذا الجبل جبل عوف. وإليه يُنسب حمى جرش، وهو من فتوح شرحبيل بن حسنة، في أيام عمر».

بقيت جرش مجهولةً حتَّى عَثَرَ عليها سائح ألمانيُّ سنة 1806. وفي سنة 1878، أرسل الحاكم التُّركي مجموعةً من الشُّركس للعيش فيها.

كشفت الحفريات الحديثة أنَّ سوراً كان يحيط بالمدينة يبلغ امتداده خمسة



كيلومترات ونصف كيلومتر. أمَّا عرض السُّور فَمِنَ مترين إلى ثلاثة أمتار ونصف المتر. وقد أمر الإمبراطور تريانوس بِشَقِّ طريقٍ من مدينة بصرى إلى البحر الأحمر، عُرِفَتْ بِاسم طريق النَّصر. وجاءها الأمبراطور أدرينانُس (117-118)

في طريقه لإحتلال بصرى الشَّام. وقد أحسن الإمبراطور معاملة أهل المدينة ممَّا دفعهم لأن يبنوا له قوساً، إكراماً له، قاوم عاتيات الزَّمن وبقي قائماً حتَّى يومنا هذا. وطول القوس 37 متراً وعرضه 9 أمتار، ويبلغ ارتفاع البوابة الرئيسة الوسطى عشرة أمتار وعرضها خمسة أمتار تقريباً.

إلى الغرب من قوس النَّصر، تقع البركة وهي عبارة عن مستطيل طوله 150 متراً وعرضه 55 متراً وعمقه 12 متراً وفيه أربعة مصارف. والمتجول بين آثار جرش سيَجِدُ المدرج الروماني الواقع شمال البركة والمقبرة وهيكل زفس، ثم سيصل المدرج الكبير الَّذي يقع للشَّمال الغربي من هيكل زفس ومقاعده في الجنوب، ممَّا يحمي المشاهدين من أشعة الشَّمس.

مدينة عجلون

تقع مدينة عجلون الأردنية الشهيرة بقلعتها التاريخية التي تُسمّى أيضاً قلعة الرّبض على مقربةٍ من جرش. وتجذب هذه القلعة أعداداً كبيرةً من الزائرين لما لها من قيمةٍ تاريخيةٍ. فقد بناها عزّ الدين بن أسامة بن منقذ أحد قادة صلاح الدّين الأيوبي، ما بين عامي 1148 - 1185 لتقف في وجه التّوسع الإفرنجي الصّليبي وتحافظ على طرق المواصلات مع دمشق وشمال سورية. ويُعرّف الجبل الذي أقيمت عليه القلعة بإسم جبل عوف، نسبةً إلى بني عوف الذين أقامت عشيرةٌ منهم في هذا الجبل أيام الفاطميين. أمّا المدينة فإنّها تحمل اسم راهب كان يدعى عجلون و يقيم في دير قديم في المنطقة. وللقلعة شكلٌ هندسيٌّ مربّعٌ ولها أربعة أبراج يتكوّن كلّ برجٍ منها من طبقتين. وقد أضيف البرجان الواقعان إلى يمين المدخل الحالي للقلعة بعد معركة حطين، وكذلك الخندق المحيط بالقلعة الذي حُفِرَ ليكون خطاً دفاعيّاً. ويقع مخزن المياه الكبير على يسار المدخل، وهناك خمسة مخازن أخرى للمياه داخل القلعة التي تتنوّع فيها الأبنية الدّاخلية والرّدهات والغرف. وتتميّز عجلون بجماها الطّبيعي وغاباتها الكبيرة وطقسها الرائع صيفاً ووفرة منتجاتها من الزيتون وأنواع الخُضار والفواكه كافةً.



مأدبا

مأدبا مدينة أردنية تقع جنوب عمان. ويبلغ عدد سكانها حوالى أربعين ألف نسمة. وتشتهر بفسيفساء رائعة تمثل خريطة فلسطين والقدس تعود الى القرن السادس ميلادي. وتوجد هذه الفسيفساء (الخريطة) داخل كنيسة القديس جاورجوس



التابع للكنيسة الارثوذكسية اليونانية. وتقع مأدبا على الطريق السريع المتجه جنوبا من عمان عاصمة الاردن. وقد بني الطريق الى جانب طريق أثري عمره يفوق الخمسة الاف سنة ويمر بالعديد من المواقع الاثرية. يقع جبل نبو حيث مدفن النبي موسى على مسيرة عشر دقائق من مأدبا. وكان المسيحيون البيزنطيون قد اقاموا على الجبل كنيسة صغيرة مربعة الشكل جرى توسيعها لاحقا.

مدينة عَمَّان

عمّان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، وأكبر مدينة فيها. تبلغ مساحتها مع الضواحي 80 كيلومتراً مربعاً. تقع عمّان في وسط البلاد على سيف الصحراء فوق جبال صغيرة متقاربة، يبلغ عددها 14 جبلاً، ويمرّ بها الخطّ الحديدي الضيق الذي كان يربطها بسوريا شمالاً وبمِيعان فالجزيرة العربية جنوباً.

تُعَدُّ عَمَّانُ مركزًا تجاريًا وصناعيًا مهمًّا، إذ يشهد قطاع الصناعة تطوُّرًا ملحوظًا يتمثَّل بصناعة الإسمنت والفوسفات وتكرير البترول والبلاستيك والجلود والمواشير وصناعة المواد الغذائية، كالمكرونة والبسكويت، وصنع السجائر والتبّاك، وقطع الرّخام وصقله. وفيها المتاجر الغنيّة بأنواع السلع المُصنّعة في الدّاخل والمستوردة من الخارج. وهناك أنواع المصنوعات اليدويّة والحِرَف وصُنع الرُّجاج والصّدَف والتطريز، وصنع القلادات والنّحت على خشب الزيتون، وصناعة الأدوية. وتشتهر عَمَّان بمطارها الدّولي المتطوّر، وبجامعة علميّة راقية تضمّ مُختلف الاختصاصات والفروع. وأبرز معالم عَمَّان مدينتها الرّياضية الكبيرة ومدينة الحسين الطّبيّة التي يقصدها المرضى من مُختلف الأقطار العربيّة، وتُجرى فيها أدقّ العمليّات وأخطرها، ومن معالم عَمَّان أيضًا، المسرح الرّوماني الكبير، والقلعة ومسجدها الجامع.

عَمَّان مدينةٌ قديمةٌ جدًّا، ذُكِرَت على أنّها «عمون» عاصمة العمونيين الذين قامت مملكتهم في تلك المنطقة، سنة 1200 ق.م، وبعد العمونيين خضعت عَمَّان لحكم الآشوريين فالبابليين. وفي القرن الثالث ميلاديًّا، دخلت في حكم الإغريق، وسُمّيت «فيلاذيلفيا» نسبةً إلى أحد ملوكهم، وكان اسمه فيلاذيلفيوس، ويُطلق عليه اسم «بطليموس الثاني». وكانت عَمَّان بوّابة الشّام وأحد أهمّ منافذ التّجارة بين الشّرق والغرب نظرًا لموقعها الإستراتيجي، إذ إن القوافل كانت تعبرها حاملةً تجارة الهند والصّين عبر البحر الأحمر، فيما كان يُعرَف يومئذٍ بطريق البخور. فتحها العرب سنة 635، بعد أن كانت بأيدي الرّومان منذ سنة 31 ق.م، ولقد وصف المؤرّخون العرب عَمَّان فأثنوا على مكانتها التّجارية، وقالوا إنّها كانت قصبة البلقاء، وإنّها كانت ذات قرى ومزارع، وفيها عدّة أنهارٍ وطواحين

تديرها الماء. وكان لها جامعٌ في طرف السّوق، مُفسّس الصّحن. وكان قصر جالوت على جبلٍ يطلّ عليها، وفيها لعب سليمان بن داوود عليهما السلام.

مدينة الكويت

مدينة الكويت هي عاصمة دولة الكويت وأكبر مدينة فيها. تقع عند



رأس عجوزة ورأس الأبيض على الخليج العربي، وأمامها لجهة الشمال جون الكويت. وأهم مناطقها: السالمية في الجنوب والشويخ في الغرب. وميناء الشويخ هو ميناء

الكويت الأساسي ومن أهم موانئ الخليج. وثمة ميناء عبد الله والشعبية حيث حقول النفط الغنية ومعامل تكريره وتصديره، وحيث نرى ما يناهز الأربعة والثلاثين مصنعاً وشركة إنتاجية ومعملاً لتصفية المياه وتحليلتها وضخّها. وإلى الشرق من الكويت تقوم جزيرة فيلكا السياحية حيث توجد آثار يونانية، منها رأس الإسكندر وتمثال أفروديت. وفيها المطار الدولي المتطور الذي يربطها بمختلف عواصم العالم.

الكويت عاصمة ناشئة متطورة، عرفت الإزدهار منذ أن اكتُشف النفط عام 1934 في دولة الكويت. فيها نهضة عمرانية وشوارع فسيحة وحدائق كبيرة وبيوت مالٍ ومصارف وشركات تأمين وجامعات ومعاهد ومدارس،

وأهمها جامعة الكويت الوطنية، وهي تضم مختلف الفروع والأقسام والتخصصات. ويفد إليها طلاب العلم من بلدان عدّة. كما أن فيها معهد الكويت الوطني للتكنولوجيا التطبيقية والمعهد التجاري والمعهد الصناعي والمعهد الصحي للبنات ومعهد التربية للمعلمين والمعلمات.

من أهم الصناعات القائمة في الكويت الصناعات البتروكيميائية، وتمثل بتكرير البترول وإنتاج البنزين والكيروسين وزيت الغاز والغازولين، والصناعات الكيماوية وتمثل بصناعة البلاستيك والمنظفات، والصناعات الغذائية والمعدنية وصناعة مواد البناء على اختلافها.

ومن معالم الكويت خزانات مياهها المعلقة، وتعرف بالأبراج، وهي مبنية على أحدث الطرق الهندسية وفن العمارة. ولقد استُخدم في هذه الأبراج خسون طناً من الألمنيوم المفرغ، وهي مدعّمة بجسورٍ داخليةٍ وعدد الأبراج ثلاثة: الأصغر للإنارة، الأوسط وفي وسطه كرة تستعمل كخزان للمياه، والأكبر وارتفاعه 187 متراً ويتخلله كرتان، السفلية وهي أكبر الكرات، يُستخدم نصفها العلوي كمطعم وصالة للإستراحة ونصفها السفلي كخزان للمياه.

أما الكرة العلوية فهي أصغر الكرات حجماً وفيها استراحة دوّارة. والكرات الثلاث مكسوّة من الخارج بأقراص مُطلية بثلاث طبقات من المينا الملوّنة. يبلغ عددها ثلاثين ألف قرص بسبعة ألوانٍ مختلفةٍ ما بين الأزرق والأخضر والرمادي، وبثلاثة أقطار بطول 40 و30 و23 سم.

تحتضن مدينة الكويت المتحف الوطني الغني بالتّحف والآثار. كما أن فيها مركز الطب الإسلامي، وهو من أحدث المراكز الطّبية في العالم للعلاج بالأدوية المُستقاة من النباتات. ومن أبرز معالم مدينة الكويت أسواقها القديمة، وأهمها السوق الداخلي، وهو يضم متاجر الحدادين الذين يزودون تجار السفن بكل

لوازم البناء، وسوق الجث لبيع العطور، وسوق الصفاة، وسوق الحريم حيث البائعات اللواتي يتاجرن بالملابس الشعبية الفولكلورية المصنوعة من أثوابٍ مُطرّزةٍ وعباءات ولوازم تجميل طبيعيّة كالحناء والديرم وهو لحاء شجر يصبغ الشفاه.

في الكويت عدد من المساجد الحديثة والأثرية وأهمها مسجد المطران ومسجد القطامي ومسجد السّوق الكبير ومسجد ناهض ومسجد السرحان ومسجد الخالد ذو المئذنة ذات القمّة الكثيرة ومسجد الخليفة ومسجد سعيد ذو المئذنة ببدن قصير ومسجد براك الدّمك ومسجد الدولة الكبير الذي تم بناؤه سنة 1406 هـ/ 1986 م وهو من أجمل مساجد الكويت، وتبلغ مساحته 45 ألف متر مربع، ومسجد لؤلؤة، ومسجد ابن خميس.

والجدير بالذكر أنّ الكويت كانت في القديم، قبل اكتشاف النفط، من أهم محطّات التجارة على طريق قوافل التّجارة بين الهند والغرب.

أبراج الكويت

افتتحت أبراج الكويت عام ألف وتسعمائة وتسعة وسبعين ميلادية وتقع على الخليج العربي في منطقة الشرق، وتعتبر الأبراج إحدى المعالم الحضارية المميزة في الكويت، ويحتوي هذا المشروع على ثلاثة أبراج رائعة. البرج الرئيسي ويضم مطعم الأفق ومقهى وقاعة دسمان للحفلات الخاصة والمناسبات، البرج الأوسط وهو عبارة عن خزان للمياه، البرج الصغير وهو الذي يتحكم في الكهرباء التي تزود هذه المنطقة من مدينة الكويت كما ينير البرجين الرئيسيين. الكرة الكاشفة على ارتفاع مائة وثلاثة وعشرين متراً فوق البحر، وتدور دورة كاملة كل نصف ساعة حيث تتيح الفرصة لمشاهدة المناظر الخلابة في الكويت.

الجزيرة الخضراء

تقع الجزيرة الخضراء في الكويت وتبلغ مساحتها سبعمائة وخمسة وثلاثين ألف متر مربع. ويربطها بالبر ممر طوله مائة وأربعة وثلاثون متراً. وهي جزيرة اصطناعية تم اكتسابها من البحر بعد ردمه، وتستقبل هذه الجزيرة عشرات الآلاف من الجمهور في عطلات نهاية الأسبوع. وتحتوي الجزيرة على بحيرة مياهها من مياه الخليج المتغيرة تأتيها وتغادرها من تحت جسرين طبقاً لظاهرتي المد والجزر. ويوجد في الجزيرة عدة مطاعم ومركز خدمة نموذجي ومسرح مكشوف، كما يوجد البرج السياحي الذي يرتفع إلى خمسة وثلاثين متراً. وتوجد قلعة للأطفال مزودة بخنادق مائية وشلالات صغيرة.

جزيرة فيلكا

جزيرة فيلكا هي إحدى الجزر المحيطة بالكويت، وهي جزيرة قديمة آهلة بالسكان. تبعد عن الكويت نحو ثلاثين كيلومتراً. طولها 12 كم وعرضها ستة كيلومترات. اتخذها قديماً الإسكندر الكبير قاعدةً لجنوده وذلك بسبب موقعها الجغرافي المميز.

في عام 1937، وبينما كان بعض العمال يشيدون قصرًا لأحد أمراء الكويت، وجدوا حجرة قديمًا منقوشًا عليه بعض الكتابات، فأرسل المسؤولون الرَّموز المنقوشة إلى المتحف البريطاني في لندن لدراستها. وتبيّن أنّ الرَّموز المنقوشة هي كتابات يونانية تعود إلى العصر الهيليني ما بين القرن الرابع والقرن الأول ق. م. وكان اكتشاف هذا الحجر سببًا في استدعاء الحكومة الكويتية البعثة الدانمركية التي بدأت التنقيب عام 1958. وبنتيجة التنقيب وجدت قطع فخارية يعود تاريخها إلى العصر البرونزي (نحو 2500 ق. م)، بالإضافة إلى قطع فخارية أخرى تعود إلى العصر الهيليني (نحو 300 ق. م). ووجدت قلعة مربعة الشكل، لها أربعة أبراج من الجهة الغربية وبوابة شمالي القلعة يحيط بها سور مزدوج مربع، وقد أحاطوه بخندق حول القلعة. ويبدو أنّ اليونانيين اتخذوا القلعة حصنًا يردّ عنهم الغزاة. أمّا حفريات عام 1959 فقد كشفت عن معبد يوناني قديم وعدد كبير من الأختام وبعض المنازل السكنية وكميات كبيرة من الفخار وقطع كثيرة من النحاس. وأهم اكتشافات حفريات عام 1960 هو حجر إيكاروس، وهو اسم جزيرة «فيلكا» الذي سموها به على اسم جزيرة يونانية. كما عُثِرَ على تمثال لرأس الإسكندر وآخر لأفروديت.

كما عُثِرَ على عدد لا بأس به من الفخار والتماثيل الصغيرة، وعدد من النقود المعدنية ترجع إلى عهد الملك الإسكندر، وعلى أحد وجهي العملة صورة هرقل، وعلى الوجه الآخر صورة الإله زيوس. كما اكتُشِفَ في ذلك العام المعبد اليوناني في داخل القلعة.

وعُثِرَ على كمية من الخرز والعقيق اليهاني، وكتابة مسمارية.

وكشفت حفريات فيلكا عام 61/62 عن معبد آخر وثلاثة أفران لحرق

الفخار وعدة بيوت، ومطابخ وحمّام وكمّيات كبيرة من التماثيل والأختام والفخار.

شاطئ المسيلة

يقع شاطئ المسيلة على طريق الفحيحيل السريع في الكويت، ويعتبر من أجمل شواطئ الكويت وأكبرها حيث يبلغ طوله حوالي ثلاثمائة وخمسين متراً. كما يوجد به ثلاثة أحواض كبيرة للسباحة أحدهم متعدد المستويات والآخريّن للأطفال. وتبلغ مساحة الشاطئ الإجمالية ثلاثة وسبعين ألفاً وستمائة متراً مربعاً تقريباً يتوزع عليها عدد من الحدائق والمساحات الخضراء وممرات للمشبي.

ويستطيع الأطفال أن يستمتعوا بكثير من الألعاب وخاصة لعبة العنكبوت التي تنفرد بها شركة المشروعات السياحية وقطار المسيلة. كما يوجد مطعم للمأكولات الخفيفة ومقهى شعبي، ولعشاق السمر والموسيقى تقام الأمسيات الجميلة على أنغام أشهر الفرق الفنية.

مدينة أبو ظبي

ما بين رمال الربع الخالي القاحلة، ومياه الخليج الساخنة عالية الملوحة، ثمة ملحمة من مائة وثلاثين مليون شجرة وثلاثة وعشرين مليون نخلة. ولكي نحيط ببعض من أطراف هذه الملحمة الخضراء، التي قادها صاحب القدم الخضراء، رئيس دولة الإمارات، كان علينا أن نرنو إليها من الأعالي، من فوق



هضبة، ومن قمة جبل، ومن نافذة طائرة محوِّمة.

كعادتها، أبو ظبي، والإمارات جميعاً، تُفاجئك وأنت تطل عليها من الجو بإدهاش علاقة الماء باليابسة، فثمة غزل واضح بين الماء والأرض بها، فجزرها تتطلع إليك

وهي مُحاطة بفيروزية المياه، ومياه توغل في الأرض بألستها فتلمع حول اليابسة، وأرض تشف فوقها رقائق المياه فيتألق عناق الرمل والبحر.

هذه رؤية رومانتيكية بالطبع، لأنها من نافذة الطائرة، ولكن من عرف



الاقتراب يُدرك أن هذا الوجه يخفي وجهاً آخر يحفل باحتدام الصراع الطبيعي، فهذه الأرض المكونة لدولة الإمارات العربية المتحدة والبالغ مساحتها أكثر من 83 ألف كيلومتر مُربع تمتد سواحلها المُطلّة على الشاطئ

الجنوبي من الخليج العربي بمسافة 644 كيلومتراً من قاعدة شبه جزيرة قطر غرباً، وحتى رأس مسندم شرقاً، ويتواصل امتداد ساحلها على خليج عمان بطول 90 كيلومتراً أخرى عند إمارة الفُجيرة أي 437 كيلومتراً، ويواجه فيها البر البحر من جهة، ومن جهة أخرى تحديق بالأرض رمال الصحراء التي تبلغ أوجها في كُثبان الرُّبع الخالي العالية المهولة. كما تُعتبر مدينة أبو ظبي عاصمة الإمارات العربية المتحدة.

وللمدينة أبو ظبي مطار دولي كبير ومرفأً ناشط بفضل عمليات الأعمار التي شهدتها المدينة، والإمارة منذ الستينات من القرن الماضي، واليوم تتمتع بمركز تجاري كبير، والبتروال الذي اكتُشف في الخمسينيات من القرن الماضي قد بدّل حياة الناس هناك على جميع الأصعدة بالإماراة وشريكاتها بالإمارات العربية المتحدة.

وأهم ما يُميز أبو ظبي شُجيرة القرم، كمفردة من مفردات جهود الحفاظ على البيئة في دولة الإمارات، ويمكن اعتبارها إلهاماً بيئياً مبكراً أهدت إليه الفطرة السوية للشيخ زايد (رحمه الله) رئيس الدولة قبل أن تُبلوره المفاهيم البيئية العلمية في طرحها الحديث. فهذه الشُجيرة (القرم أو المانجروف) كادت تنقرض بعد أن كانت من غابات الأرض المغمورة بريقة مياه الخليج الدافئة الضحلة، ومع زحف التخضير الذي بدأته دولة الإمارات عمومًا وإماراة أبو ظبي خصوصًا أي منذ قُرابة عقود ثلاثة لا غير، فراحت اليد الخضراء تُعيد استنابات شُجيرات القرم على الساحل الإماراتي، وفي غضون العقود الثلاثة عادت غابات القرم تغطي مساحات شاسعة من الأرض المغمورة بالمياه الضحلة. وهذه الشجرة المكونة لهذه الغابات الساحلية معجزة في حد ذاتها، فمن شبكة جذورها يتكون مرشح «فلتر» يأخذ الماء بعد تصفيته من الملح وبذلك ترتوي شجيرة القرم من ماء زلال رغم حياتها المغمورة الجذور في الماء المالح. وفي المفهوم البيئي الحديث تكون ما يُسمى Microclimate أو نظاماً بيئياً مُصغراً، فالشجرة تنمو فتجذب إليها في الماء كائنات بحرية دقيقة تتغذى على جذورها، أما في الجو فهي تجتذب الحشرات والهُوام. وعلى هذا النحو تنمو سلسلة التكامل والتكافل والتنوع البيئي، فالكائنات البحرية الدقيقة تجتذب الأسماك والحشرات، والأوراق الخضراء تجتذب الطيور، فتموج غابات القرم بزخم الحياة، سواء كان عالم من

الأسماك ينمو ويتكاثر، وأسراب من الطيور تخط وتعيش، وأشجار طافية على الماء تنظف الهواء لأنفاس البشر وكل ما يعيش على البر، وتسرع العيون التي يفعمها بالراحة والرحمة ذلك التجانس الرباني بين الأزرق والأخضر وتدرجاتها في السماء والبحر والبر.

هذا المجال البصري الذي تنساب فيه «الهارمونية» اللونية المتناغمة من تدرجات الأخضر والأزرق، أي لونا النبات والماء والسماء، هي عُنصر مُهدئ وعظيم التأثير على الجهاز العصبي والوظائف النفسية، لأن العين كنافذة للجهاز العصبي المركزي على العالم الخارجي، وكُمستهلك أعظم للطاقة المقررة للجهاز العصبي المركزي، بسحبها المرتاح في المجال اللوني الوديع المتناغم تقود إلى حالة من الارتياح Soothing تنعكس على الجسد والنفس عمومًا.

وأي دراسة عن معدلات الجريمة أو الانهيارات العصبية ستكشف أنها في مدينة مثل «أبو ظبي» أقل كثيرًا من أي مدينة من المدن التي تُعادي الأشجار والزهور والخضرة، وتتميز كذلك بأشجار «الاسباثودا» التي جاءت من إفريقيا الاستوائية لتتألق في أبو ظبي بأوراقها العريضة الدائمة الخضرة وأزهارها النارية الحمراء الكبيرة. فهذا الاختيار ضرب عصفورين بحجر واحد كما يُقال، إذ وفر شجرة عالية الاحتمال قادرة على التأقلم، إضافة لجملها اللافت وخضرتها الدائمة، وجاءت أنواع مُتعددة من الأشجار من أرجاء الدنيا لتقف على شاطئ الخليج في «أبو ظبي»، وهي أشجار اللوز الهندي، والمطاط من الهند، والصبار الهندي من الفلبين والمكسيك، والدراداكسيا ونخيل واشنطن من أمريكا الشمالية، ونخيل الجوز من جُزر المحيط الهندي، واليوهينيا (خُف الجمل) من الصين، والأكاسيا من استراليا، وغيرها الكثير

من الأشجار. واستمرارية الزهور والخضرة تقف وراءها مشاتل ضخمة لتربية وإكثار الأشجار والشجيرات وزهور الزينة.

وتُقدر كمية المنصرف من مشتل «الخالدية» و«المنهل» وحدهما في عام واحد بأكثر من مليون ونصف مليون شتلة شجرية، وأكثر من عشرين مليوناً من شتلات الزهور، وتتميز أبو ظبي أيضاً بالشُعاع الثقافي على مستوى الإمارات الأخرى حيث الازدهار الثقافي على ضفاف الخليج، فالإمارات العربية تحتضن المجمعات والمراكز الثقافية، ومنها مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، وجائزة سلطان العويس، والمُجمع الثقافي في أبو ظبي، ومركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ومكتبة الملك عبد العزيز، ومكتبة الشيخ حسن بن محمد آل ثاني، ومؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، وجائزة الشيخ عبد الله مبارك الصباح للآداب والفنون.

هذه التجمعات والمراكز مصايح للثقافة تُضيء على شواطئ الخليج، وكلها كانت ثمرة لمبادرات أفراد وهبوا قلوبهم وأمواهم من أجل تقدم العلم والثقافة العربية. لقد آمنوا بأن هذا هو الطريق الأمثل لبناء الإنسان العربي لذا فقد زرعوا هذه المشاريع الطيبة في أرض الخليج الطيبة.

مجمع ثقافة أبو ظبي:

المُجمع الثقافي في أبو ظبي هيئة عامة مستقلة تهتم بنشر الثقافة وإثراء الفكر والقيام بدور ثقافي مُميز، وذلك من خلال العديد من الأنشطة الثقافية المناسبة من إدارة دار الكتب الوطنية، وتنظيم الندوات والمحاضرات والحلقات الدراسية والمسابقات الثقافية، ثم إقامة المعارض الفنية، فهناك معارض للكتب، ومعارض للفنون التشكيلية، هذا بالإضافة إلى تشجيع الحركة الأدبية

والفنية عن طريق عمل الأبحاث، ونشر الكتب التراثية والكتب الحديثة، ومتابعة تاريخ دولة الإمارات العربية من خلال جمع الوثائق المتعلقة بالدولة، ومنطقة الخليج العربي كلها.

ويقع مقر المُجمع في مدينة أبو ظبي، وهو يتألف من ثلاثة مباني، اثنان منهما في وسط المدينة، أما المبنى الثالث فيقع في مدينة زايد الرياضية، والمبنى الأول وهو المبنى الرئيسي قد بُني على الطراز العربي الإسلامي، ويتميز بأقواسه الكثيرة، ويضم الوحدات التنظيمية للمُجمع مثل مجلس الأمناء، وهو السُلطة العليا التي ترسم سياسة المُجمع وتصريف أموره، والأمانة العامة التي تتولى تنفيذ السياسات والخطط المقررة.

ومقر دار الكتب الوطنية والتي تتسع لحوالي مليوني مجلد وبها مكتبة متخصصة تعنى بشؤون الخليج إضافة إلى وحدة لجمع المخطوطات تحوي نحو أربعة آلاف مخطوطة أصلية، ومكتبة خاصة برسائل الدكتوراه والماجستير في شتى الموضوعات، ومكتبة سمعية وبصرية، ومكتبة للدوريات العربية والأجنبية.

كما يضم هذا المبنى مقر مؤسسة الثقافة والفنون ومرافقها التي تختص وتهتم بتنمية الوعي والمهارات والذوق الثقافي والفني في إطار الثقافة العربية الإسلامية، كما تهتم بالطفولة والمواهب الناشئة، فهناك مركزٌ للطفولة يهتم برعاية الأطفال في مجال الإبداع الفني واكتساب المعرفة، كما أن هناك مرسمًا حرًا يرعى المواهب ويصقلها بالتدريب. والمبنى الثاني هو مبنى تاريخي يُسمى بقصر الحصن وهو مقر مركز الوثائق والدراسات، وينحصر نشاطه في جمع صور الوثائق المتعلقة بدولة الإمارات ومنطقة الخليج والوجود العربي في شرق إفريقيا، بالإضافة إلى جمع الكتب والمخطوطات المتعلقة بالدولة ومنطقة الخليج

وجمع الروايات التاريخية والشفوية، وتوثيق أنشطة مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وجمع المصورات الفوتوغرافية والتسجيلية والخرائط، بالإضافة إلى إصدار سلسلة من المطبوعات التوثيقية السنوية والمؤلفات التاريخية عن الدولة والمنطقة.

والمبنى الثالث هو مبنى الأرشيف الوطني، ويتكون من جناحين وهو مخصص لحفظ الوثائق التي تخص دولة الإمارات ومنطقة الخليج العربي بعامة، وقد روعي في تصميمه الاحتياطات اللازمة لحفظ المستندات من التلف بتوفير درجات حرارة ورطوبة مناسبتين، وأهم صناعات أبو ظبي تتمحور حول البترول والإسمت وإنتاج الأنابيب المعدنية، وللإمارة نشاطات واسعة في مجالات المال والنقل والاتصالات.

كما توسعت المدينة خلال الأربعين عام الماضية وشهدت حملة إعمار كبيرة وسريعة، وتُعد اليوم مدينة حديثة جيدة التخطيط، ويتضح ذلك في التخطيط الجمالي لجزر أبو ظبي التي تشتهر بها على مستوى الإمارات الأخرى، ومنها جزيرة صير بني ياس، وهي من أكبر الجزر في إمارة أبو ظبي، وتبلغ مساحتها 250 كيلو متراً مربعاً، هذا خلاف عشرة كيلو مترات تم ردمها لتكون امتداداً جديداً للجزيرة، وتُسمى «الجزيرة الخضراء» وقد خُصصت لزراعة الفاكهة (موالح، موز، رُمان، أناناس، مانجو) وأصناف متعددة من الفاكهة يصعب تعدادها، ويصعب تصور أن تُثمر في منطقة الخليج، بل في جزيرة وسط مياه الخليج، وتتميز فاكهة هذه الجزيرة بالطعم اللذيذ، والصفات الجيدة.

ولا تتوقف محاولات توطين الخير في الجزيرة، فقد نجحت زراعة السنترية والمانجو والشيكو والجوافة والباباي والرمان والتين والتفاح والخوخ والبوملي والجريب فروت والليمون الحلو والموز والعنب والتين الشوكي

والزيتون (المنتشر بكثرة في الجزيرة) والخروب والمشمش والبطيخ والتمر والرطب، لكن إرادة التحدي الأخضر لا تكف عن محاولة إعمار الجزيرة بمزيد من الثمار فهي تشهد حاليًا تجارب عديدة لزراعة الجوز وفواكه القشدة والعنب الياباني والتركي والمغربي ... ومُنذ تم اتخاذ القرار والجزيرة تتطور ببطء مدروس في البداية (حيث كانت كمية المياه المستعملة في حدود عشرة آلاف جالون تُنتجها وحدة تحلية محدودة) لكن مُنذ سنوات بدأت الجزيرة انطلاقتها الخضراء المُتسارعة إذ وصلت طاقة وحدات التحلية في الجزيرة إلى 4 ملايين جالون، ومع زيادة كمية المياه العذبة راحت مساحات التشجير تمتلئ بأحواض ومساقى للطيور الحيوانات.

وبحيرتين صناعيتين مُبطنتي القاع برقائق ومواد عازلة تمتع التسرب، وعلى ضفاف هذه البحيرات، وتحت مظلاتها تتجمهر أسراب من الطيور، وهُنا وهناك تتناثر أبراج للحمام تطوي المأوي في قلبها الأخضر الموسوم بأشرطة بيضاء، فهي ليست كأبراج الحمام الداجن تفتح أبوابها على الخارج وتحتبئ في مأويها فخاخ الصيد فلا صيد هُنا بل إن الصيد محظور في أبو ظبي مُنذ 15 عامًا بأمر الشيخ زايد، فبعد أن كان صيد الغزلان والطيور مألوفًا في الإمارات، وبعد أن تحول الصيد مع مجيء السيارات وبنادق الصيد الحديثة إلى تهديد لتوازن البيئة صدرت تشريعات حظر الصيد، وانتشرت في دولة الإمارات كلها، ففي الفجيرة حظر حاكمها الشيخ حمد ابن محمد الشرقي صيد الفهود المارية والقطط البرية في الجبال، كما منع صيد الغزلان البرية التي تعيش في المناطق النائية، أما على صعيد الحياة البحرية فقد أصدرت وزارة الزراعة والثروة السمكية قرارا حظرت فيه إمساك السلاحف أو أخذ بيضها، وتقوم بتغريم الصيادين الذين ينتهكون القرار.

لم تكن الجزيرة سهلاً خالصةً ولا جبلاً مُتصلةً، بل كانت وسطاً متناعاً
ترعاه إرادة ذوق إنساني حسن، اعتمدت مشاريع الزراعة والتشجير بالجزيرة
على إزالة الجبال الصخرية عند الشاطئ أولاً لتوفير مرافق رسو الزوارق
والسفن، ثم في الوسط بعد ذلك، ومع تسوية دائمة للتربة الخصبة التي أغناها
مطر المواسم الغزيرة مدارج من الخُضرة، وبراري فسيحة، وأصناف من غزال
الريم تجري كأنها حقل من السنابل تطوف عليه ريح هينة، وتتزاحم جماعة
غزلان المها البيضاء مُبتعدة بلا دُعر إذا مررت بها، بينما الزرافات تشرئب
في غاب مسيح إذ إنها تأتي على خضرة الأشجار فيتم نقلها من مكان لآخر
لتستعيد المساحة التي أجذبت خُضرتها. والجزيرة تتحول بتسارع إلى محمية
ترتع فيها الحيوانات المجلوبة من داخل البلاد أو من خارجها مثل أبو ملعقة،
والحمام المتوج، والنعام، والغزلان، والكنجaro، والمها، والزراف، والصقور
والكركى المتوج، والوضيحي (أو العربي) وظبي الماء، واللاما، والجاموس
الإفريقي، والتجربة تُثبت نجاحاً مُشجعاً على مدى السنوات التي عاشتها
حيث راح مُعدل التكاثر للحيوانات على أرض الجزيرة يزداد، ويوجد الآن
جيل ثالث من بعض الحيوانات التي كانت مهددة بالانقراض كالمها العربي
والغزال العربي «الديماني» والمها الأفريقي والماعز النوبي. إلى جانب التوالد
الملحوظ بين قطعان الغزلان التي يقترب عددها من ثلاثين ألفاً، لقد تكيفت
الحيوانات الآتية من الخارج حتى وصلت إلى درجة التوالد في بيئة الجزيرة،
وهي أعلى درجات التكيف، ومن الحيوانات التي وصلت إلى هذه الدرجة
المها الإفريقية، وأبو حراب، وأبو عدس، وظبي ايلند، وظبي الماء، واللاما
(أو الجمل الأمريكي) والزراف، والأنتيلوب الأسود، وظبي تيالا، وغزال
طوسون، وكبش أروى «البربري»، وغزال أمبالا، والإبل الأرقط، إلى
جانب أسراب من الطيور التي تأقلمت مع مناخ الجزيرة واتخذت من غابها

مأوى لها برغم أن مواطنها بعيدة ومختلفة في إفريقيا وأستراليا وجنوب القارة الأمريكية مثل النعام الإفريقي، ونعام الإيمو، ونعام الكاسوري، والخباري، وطائر التم الأبيض، وأبو منجل، والحمام المتوج. ولقد مضت حلول التأقلم في طريقها إما بالتطبع أو بالتطبيع عبر حلول مُبتكرة وبسيطة، فالجمل الأمريكي (اللاما) من الجيل الأول كاد ينفق في فصول الصيف حيث الرطوبة المربعة والقيظ، لكن مجرد توفير أحواض للاستحمام ومظلات راقية عبرت بالجمل الأمريكي إلى الأمان، وتوالد، وجاءت سلالته قادرة على التأقلم أكثر مع البيئة التي ولدت فيها. ومن المؤشرات المهمة على تصاعد نجاح التجربة هي تلك الظاهرة التي تتحول فيها الطيور المهاجرة إلى طيور مُقيمة، فهذه لا تُقيم إلا حيث تكون الحياة أفضل والأمان أكثر. وهذا ما حدث مع طائر الفلامنجو «الفانتير» وطيور الخباري، فقد راقى لها الحياة في صير بنى ياس فاستقرت واستوطنت. وهناك حكاية طريفة عن طائر البشاروش الذي لم يبلغ حد القدرة على التكاثُر في الجزيرة لأسباب وراثية قوية، فقد عرفنا أن البشاروش بعد أن يفقس بيضه ويشد عود صغاره تأتي بها للجزيرة لتلتمس المأوى والأمان.

مدينة دبي

شهدت مدينة دبي خلال السنوات القليلة الماضية ثورة تكنولوجية وإعلامية غير مسبقة عربياً وإقليمياً تستهدف حجز موقع بارز لدولة الإمارات العربية المتحدة في العصر المقبل والذي بدأت ملامحه بالتشكل مع نهايات القرن الماضي. ذلك العصر الذي لا مكان فيه للحديث عن النفط كمورد وحيد للطاقة أو عن الأنشطة الاقتصادية التي بات يطلق عليها مجازاً الاقتصاد القديم.